جامــعة واســط
مجلـــــة كليـــــة التربيـــة

العدد الأربعون
الجزء الثاني / آب / ٢٠٢٠

"إنشاء النّصّ وبناء المعنى بيْن الذّات والموضوع: نموذج من كتاب "الإمتاع والمؤانسة" للتّوحيديّ[١]

د. جليلة عامر يعقوب
جامعة منّوبة – تونس
yacoubjalila@yahoo.fr

ملخّص البحث

يندرج هذا البحث ضمن تحليل الخطاب ولسانيات النّصّ واختيارات اللّفظ وتركيب المعنى حين يكون النّسيج مزاوجاتٍ كثيرة يقترن بعضُها بظروف النّشأة والتّدوين، ويشي بعضها الآخر بظاهر العبارة ومضمَر الدّلالة، تُستنتَج من المرجع التّاريخيّ وتتشابك في خصائص التّناصّ وعلاماتِ التّقارب الإنشائيّ، وهي خلفيّة قد تكون من مبرّرات وصف الموضوع قناعًا للذّات حين توهم بالغياب، فتفرض الوجودَ في بلاغة الأدب وسياسته، وفي تسيير الشّأن وتدبيره، وفي شروط البثّ والتّلقّي بخاصّة حين تكون العلاقة بيْن أديب مفكّرٍ فيلسوفٍ وبيْن رجلِ سلطةٍ يبسط من المسائل أعْقدَها، وخلفيّةُ ذلك المضمرُ من أسباب النّفوذ وضمان استمراريّته؛ جوانبُ نسعى إلى تبيينها من خلال قراءة نصّ مقتطف من اللّيلة السّادسة من كتاب "الإمتاع والمؤانسة" لأبي حيّان التّوحيديّ، نموذج من النّثر الفنّيّ العربيّ القديم، خلال القرن الرّابع للهجرة، الذي تعدّدت أشكاله، وتنوّعتْ مظاهره لأسبابٍ متباينة نوجزها في النّقاط الثّلاث التّالية: ١. الرّوافد المعرفيّة التي منها استقى أبو حيّان التّوحيديّ مقوّمات هذا النّصّ بيْن أنْ تكون جزءًا من تراثٍ إنسانيّ أو أنْ تتحوّل إلى صياغةِ فكرٍ؛ ٢. تجلّيات انسجام الخطاب ومنطق بنائه في النّسيج النّصّيّ وعُقد تأليفه وفي تحوُّلِ الحقل المعجميّ إلى مجالٍ دلاليٍّ؛ ٣. مدى الحديث عن أجناسيّة مخصوصةٍ يُمكن أنْ يندرجَ ضمنها هذا النّصُّ، وعلاقتها بخلفيات أبي حيّان في تدوين الخبر أو "توثيق" التّاريخ وإنشاء الخطاب أو تخييل السّرد.

الكلمات المفاتيح: النّثر العربيّ القديم – لسانيات النّصّ – اللّغة والمنطق – أجناسيّة الخطاب.

Abstract

This research falls within the analysis of discourse, the linguistics of the text, the word choices, and the syntax of meaning when the weaving has many pairings, some of which are associated with the conditions of creation and registration, and others indicate the manifestation of the term and the meaning of the significance, which can be inferred from the historical reference, and it is intertwined with the characteristics of intertextuality and signs of compositional convergence. A background that may be a justification for considering the subject as a mask of the self when deluded by the absence and imposes existence in the rhetoric of literature and its politics, in the conduct and management of the matter, and in the conditions of broadcasting and receiving, especially when the relationship between a writer, a philosopher, a thinker, and an authority man who posed the most complex issues, and the background of that implication is one of the reasons for influence and ensuring its continuity; aspects that we seek to identify by reading a text extracted from the sixth night from the Book of "Al-Imtâ' wa-l-mu'ânasa" by Abû Hayyân al-Tawḥîdî, model of the ancient Arab artistic prose, during the fourth century of migration, represents its various forms, and its manifestations are varied for different reasons, which we summarize in the following three points: 1. The cognitive tributaries from which Abû Hayyân al-Tawḥîdî derived the elements of this text between being part of a human heritage or becoming a form of thought; 2. The manifestations of coherence in discourse, and his logic stucture in textual text and its authorship nodes and in the lexical field transformation into a semantic field 3. The extent of talking about a specific genre can be included within this text, and its relationship to the backgrounds of Abû Hayyân in writing of speech or "document" history and the establishment of discourse or imagine the narration.

Key words: Ancient Arabic prose - Linguistics of text - Language and logic - genre of discourse.

النّص:

((ثُمَّ حَضَرْتُهُ[٢] لَيْلَةً أُخْرَى، فَأَوَّلُ مَا فَاتَحَ بِهِ الْمَجْلِسَ أَنْ قَالَ: أَ تُفَضِّلُ الْعَرَبَ عَلَى الْعَجَمِ أَمِ الْعَجَمَ عَلَى الْعَرَبِ؟

قُلْتُ: الأُمَمُ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ أَرْبَعُ: الرُّومُ، وَالْعَرَبُ، وَفَارِسُ، وَالْهِنْدُ؛ وَثَلاَثٌ مِنْ هَؤُلاَءِ عَجَمٌ، وَصَعْبٌ أَنْ يُقَالَ: الْعَرَبُ وَحْدَهَا أَفْضَلُ مِنْ هَؤُلاَءِ الثَّلاَثَةِ، مَعَ جَوَامِعِ مَا لَهَا، وَتَفَارِيقِ مَا عِنْدَهَا. قَالَ: إِنَّمَا أُرِيدُ بِهَذَا الْفُرْسَ. فَقُلْتُ: قَبْلَ أَنْ أَحْكُمَ بِشَيْءٍ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي، أَرْوِي كَلاَمًا لابْنِ الْمُقَفَّعِ[٣]، وَهُوَ أَصِيلٌ فِي الْفُرْسِ عَرِيقٌ فِي الْعَجَمِ مُفَضَّلٌ بَيْنَ أَهْلِ الْفَضْلِ (...).

قُلْتُ: قَالَ شَبِيبُ بْنُ شَبَّةَ[٤]: إِنَّا لَوُقُوفٌ فِي عَرْصَةِ الْمِرْبَدِ – وَهُوَ مَوْقِفُ الأَشْرَافِ وَمُجْتَمَعُ النَّاسِ وَقَدْ حَضَرَ أَعْيَانُ الْمِصْرِ – إِذْ طَلَعَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ، فَمَا فِينَا أَحَدٌ إِلاَّ هَشَّ لَهُ، وَارْتَاحَ إِلَى مُسَاءَلَتِهِ، وَسُرِرْنَا بِطَلْعَتِهِ؛ (...) وَنَزَلْنَا عَنْ دَوَابِّنَا فِي دَارِ ابْنِ بُرْثُنٍ نَتَنَسَّمُ الشَّمَالَ، إِذْ أَقْبَلَ عَلَيْنَا ابْنُ الْمُقَفَّعِ، فَقَالَ: أَيُّ الأُمَمِ أَعْقَلُ؟ فَظَنَنَّا أَنَّهُ يُرِيدُ الْفُرْسَ، فَقُلْنَا: فَارِسُ أَعْقَلُ الأُمَمِ، نَقْصِدُ مُقَارَبَتَهُ، وَنَتَوَخَّى مُصَانَعَتَهُ. فَقَالَ: كَلاَّ، لَيْسَ ذَلِكَ لَهَا وَلاَ فِيهَا، هُمْ قَوْمٌ عُلِّمُوا وَتَعَلَّمُوا، وَمُثِّلَ لَهُمْ فَامْتَثَلُوا وَاقْتَدَوْا وَبُذِئُوا بِأَمْرٍ فَصَارُوا إِلَى اتِّبَاعِهِ، لَيْسَ لَهُمُ اسْتِنْبَاطٌ وَلاَ اسْتِخْرَاجٌ. (...) فَرَدَدْنَا الأَمْرَ إِلَيْهِ. قَالَ: الْعَرَبُ. فَتَلاَحَظْنَا، وَهَمَسَ بَعْضُنَا إِلَى بَعْضٍ، فَغَاضَهُ ذَلِكَ مِنَّا، وَامْتَقَعَ لَوْنُهُ، ثُمَّ قَالَ: كَأَنَّكُمْ تَظُنُّونَ فِيَّ مُقَارَبَتَكُمْ، فَوَاللهِ لَوَدَدْتُ أَنَّ الأَمْرَ لَيْسَ لَكُمْ وَلاَ فِيكُمْ، وَلَكِنْ كَرِهْتُ إِنْ فَاتَنِي الأَمْرُ أَنْ يَفُوتَنِي الصَّوَابُ. (...) إِنَّ الْعَرَبَ لَيْسَ لَهَا أَوَّلٌ تَؤُمُّهُ وَلاَ كِتَابٌ يَدُلُّهَا، أَهْلُ بَلَدٍ قَفْرٍ وَوِحْشَةٍ مِنَ الإِنْسِ، احْتَاجَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي وِحْدَتِهِ إِلَى فِكْرِهِ وَنَظَرِهِ وَعَقْلِهِ (...)، فَلِذَلِكَ قُلْتُ لَكُمْ: إِنَّهُمْ أَعْقَلُ الأُمَمِ، لِصِحَّةِ الْفِطْرَةِ وَاعْتِدَالِ الْبِنْيَةِ وَصَوَابِ الْفِكْرِ وَذَكَاءِ الْفَهْمِ. هَذَا آخِرُ الْحَدِيثِ.

قَالَ: مَا أَحْسَنَ مَا قَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ! وَمَا أَحْسَنَ مَا قَصَصْتَهُ وَمَا أَتَيْتَ بِهِ! هَاتِ الآنَ مَا عِنْدَكَ مِنْ مَسْمُوعٍ وَمُسْتَنْبَطٍ.

فَقُلْتُ: إِنْ كَانَ مَا قَالَ هَذَا الرَّجُلُ الْبَارِعُ فِي أَدَبِهِ الْمُقَدَّمُ بِعَقْلِهِ كَافِيًا فَالزِّيَادَةُ عَلَيْهِ فَضْلٌ مُسْتَغْنًى عَنْهُ، وَإِعْقَابُهُ بِمَا هُوَ مِثْلُهُ لاَ فَائِدَةَ فِيهِ))[٥]

تمهيد

الأدب، وهو يُدوَّن أو يُكتب في مراحل تاريخه ومظاهر إنجازه أو المُمكن منها في المفهوم والسّياسة، يستدعي التّاريخَ في الحياة أو الحياة في التّاريخ؛ تغيّرٌ في مواضع الكَلِم وانفلاتٌ في ما يبدو مقيّدًا مسيّجًا مِنْ أطُرِ القول ومقاماته؛ وبيْن ظاهر لفظٍ ومُضمَرِ معنى تتكاثف فيه الإحالات ويكون

الخطاب محاورة بيْن سياسة المعرفة ومعرفة السّياسة، وقد لا يكون من ظاهر التّوافق والانسجام إلاّ تحوّل الدّلالة والوجود في صيغة القول والغياب في ما به جوهر المتن يُرى هامشًا ضمن علاقة النّقل بالعقل، أو المنطق بالسّياسة. جدليّةٌ ذات خصائصَ كثيرةٍ وثنائياتٍ هي نسيجُ النّصِّ أمّا سداه فيكشف عنه النّقد، حين يصبح الخطابُ أصلاً لأصداء لها ملامحُ منه، ولكنّها تتّسع كلّما نأت عنه بالقول وفيه والأثر منه.

تداعياتُ نثرٍ في بلاغته قد تبدو باهتة أو ضربًا من إسقاط الصّورة على المعنى، ولكنّ للتّصوّرات مقدّماتٍ هي المدوّنةُ العربيّة القديمة بما فيها من نسجٍ على منوالٍ أو انفراطٍ لعِقد المواثيق فيه، فلا الجنس بضامنٍ خصوصيّتَه، ولا النّصُ بالمفضي بأسراره إلاّ في وهْم قراءةٍ أولى تشي بالوضوح والتّجلّي يأتي المعجمُ ليغيّبَ أفقهما وأفق ما قد بدَا سرديّةَ خطابٍ تتحوّل إلى جزءٍ من نظْمٍ بلاغيٍّ ومن استدلالٍ عقليٍّ منطقيّ في ثنائيّة المحور/ الهامش أو الهامش/ المحور من وجهة نظر أحدِ أعلامِ الأدبِ العربيّ في القرن الرّابع الهجريّ، والمقصود أبو حيّان التّوحيديّ، ليس في مطلق ما بقي من آثاره، وإنّما من خلال نموذج مخصوص نقرؤه على ضوء المناهج اللّغويّة الحديثة في تحليل الخطاب ولسانيات النّصّ؛ النموذج هو جزء مأخوذٌ من اللّيلة السّادسة من كتاب "الإمتاع والمؤانسة" بكلّ ما يحفّ به من شروط المسامرة وإملاءات التّدوين وأسرار الكتابة، وتوجّهات الذّات في الاختيار بيْن المَقُول والمسكوت عنه أو العرَض والجوهر. والإشكاليات التي تُطرح هي:

١. فيم اختيار كتاب "الإمتاع والمؤانسة"؟ وهل للعنوان امتداداتٌ في متن النّصّ ونسْجِه؟

٢. ما الذي تشي به اللّيلة السّادسة حتّى كانت مرجعَ القراءة والنّقد؟

٣. للنّصّ خصوصياتٌ في اللّفظ والمعنى، فهل كانت عفْوَ الخاطرِ ارتباطًا بمرجعيات الخطاب، أمْ أنّها قد سُبِكتْ سبكًا لهُ ما يبرّره؟

٤. فيمَ اصطناع النّصّ على الإنشاء الأدبيّ من ناحية، وعلى المنطق الفلسفيّ من ناحية أخرى؟

التّحليل

هذا النّصّ هو في المفاضلة بيْن العرب والعجم: الخلفيات والمبرّرات والنّتائج بيْن المقول والمسكوت عنه، وقد بناه أبو حيّان التّوحيديّ على التّتابع فالتّضمين، فجاءت بنيته شبكة من الأبنية الفرعيّة المبتدأ فيها تأطيرُ الخبر ضمن علاقة السّرد بالزّمن "لَيْلَة أُخْرَى" تحيل إلى أدب المسامرات والمشافهة بيْن التّوحيديّ والوزير البويهيّ ابن سعدان، وإلى المرجعيّة الواقعيّة والصّياغة الفنّيّة الأدبيّة و"طروس

الكتابة"[٦] في أدب ظاهره تدوينٌ وباطنه شروطُ بلاغةٍ أو جدليّةُ ذاتٍ وموضوعٍ، ومن معانيها ما يقوله صالح بن رمضان:

"إنّ نواميس الكتابة عند التّوحيديّ تكشف عن صراعٍ حادّ يعتمل في ذات الكاتب بيْن واجب الخضوع لمؤسّسة المجلس الأدبيّ بوصفه تقليدًا منْ تقاليد التّواصل وشكْلاً منْ أشكال استهلاك الأدب وبناء شخصيّة الأديب الظّريف في أوساط الخاصّة، ونداء الذّات التّوّاقة إلى التّحرّر منْ قيود مؤسّسة المجلس الأدبيّ، والانعتاق منْ فلكها الآسر."[٧]

يقوم النّصّ على اللّفظ والقصد فروقًا تبدأ في التّجلّي بالإفصاح عن المحور والأصل فيه وفق السّائد من سلطة السّياسة تُصاغ أطروحةً حين يقول الوزير: "أَ تُفَضِّلُ الْعَرَبَ عَلَى الْعَجَمِ أَمِ الْعَجَمَ عَلَى الْعَرَبِ؟"؛ أمّا الظّاهر فرغبة في المعرفة وأمّا الباطن فما ساد القرن الرّابع للهجرة من صراعات عِرقيّة شعوبيّة ذات خلفياتٍ دينيّة سياسيّة حضاريّة قد يكون فيها ما يقرّب التّوحيديّ من ابن سعدان، لكنّ منها أيْضًا ما يبطن نوازع الذّات والانتصارَ إليْها في هيمنة الفعل أو سلطةِ القول.

ظاهر الأطروحة انسجام مع خصوصيات المجلس في قوّة القول وبُعد الأثر، أمّا المضمر فتأتي الكتابة لتغيّر من خلاله المنحى حين يتحرّر الخطاب من لحظة الآن ويكفّ اللّفظ عن أنْ يكون أسير معجم ومعنى أوّل[٨] في ما به سيقنع التّوحيديّ محدّثَه؛ ومن مراجعه في الرّدّ العلماءُ لما يتميّزون به من سعة معرفة وحرص على الموضوعيّة في العرض والاستقراء والاستنتاج والاستناد إلى الجانب المادّيّ في الحجّة والبرهان؛ يقول: عصام بهيّ في إطار بيان موقف التّوحيديّ من الفطرة والعقل:

"فإذَا غلبتِ البديهة على المركّب غلب عليْها عيْبها، أيْ ضعفتْ صورة العقل، وإذا غلبت الرّويّة ضعفت صورة الحسّ. ولا بدّ أنْ يكون كمال المركّب (...) في الوسط بيْنهما، أيْ في استعمال كلّ منهما في موضعها اللاّئق بها، وفي تعاون وتفاعل مع القوى الأخرى. وحينئذٍ، سيتفوّق المركّب – ومنتجاته – على أيٍّ منْ عنصريْه ومنتجاتهما".[٩]

وهو المنهج ذاته الذي اعتمده التّوحيديّ في ما يبدو من الظّاهرة من وصف العرب أمّة من متعدّد على أساس التّوازن في الذّكر واللّفظ، إلاّ أنّ الاختلال يبدو في قوله: "ثَلاَثٌ مِنْ هَؤُلاَءِ عَجَمٌ" حجّة كمّيّة تنسّب القول بأفضليّة العرب على العجم بعد أنْ كان التّوازن في الواقع والمرجعيّة الحضاريّة. مراوحة تحيل إلى ثنائيّة التّعميم والتّخصيص حين يقول ابن سعدان: "إِنَّمَا أُرِيدُ بِهَذَا الْفُرْسَ." لتُحْصَر المفاضلة بيْن طرفيْن ما العرق فيهما إلاّ مطيّة لصراع خفيّ بيْن طرفي الخطاب قد تنحسر دائرته إلى العصبيّة والشّعوبيّة، أو تتوسّع في السّياسة والفكر، ودائرة هذا قول التّوحيديّ واختياره: "قَبْلَ أَنْ أَحْكُمَ بِشَيْءٍ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي، أَرْوِي كَلاَمًا لابْنِ الْمُقَفَّعِ، وَهُوَ أَصِيلٌ فِي الْفُرْسِ عَرِيقٌ فِي الْعَجَمِ مُفَضَّلٌ بَيْنَ

أَهْلِ الْفَضْلِ (...)." فيتناول السّياسيَّ بمدخل فلسفةِ الفكر ونثريّة الأدبِ الفنّيّ وامتزاج مصادرِ المعرفة، والمقصودُ من هذه الحواريّة الزّمانُ يراه ابنُ سعدان "الحاضر – اليوم"، وينشئه التّوحيديّ مطلقًا في سنداتِ القول وموضوعِ الحديث اتّخذ فيه النّقلَ قناعًا للعقل للخُلف بيْن الطّرفيْن في المنزلة والمقام.

ويأتي الزّمان في التّمثيل السّرديّ والخصوصيّة المرجعيّة، وفي القراءة وتتبّع مسارات التّلقّي بيْن الإدراك والتّصوّر والأطروحةِ في مقامها الأوّل والآخر اللاّمحدود الذي تنفتح عليه،(١٠) والجامع بيْن الثّنائيات كلّها مفاهيمُ إنسانيّةٌ التّاريخُ مصدرُها، والتّأسيسُ غايتها، والنّظامُ النّصّيّ الاستعاريُّ هيكلُها، واللّغةُ يتوارى فيها القصدُ ضمن البناء والمعنى وكيفياتِ تفسيره بالتّبسيط في اللّفظ، وبالتّعقيد في الرّمز تتّخذ قرائنه معانيَ مخصوصةً في الموضوع حين تتّصل القصّةُ الإطارُ بالزّمن "الحاضر"، وتستدعي القصّةُ المضمّنَةُ الماضيَ، ولكنّها تصبح الكلَّ الرّمزيَّ في الذّاتيِّ حين يصهر التّوحيديّ القرينتيْن السّابقتيْن في منظور المستقبل يؤلّف بيْنهما ويتجاوزهما في حدود الحدث "الواقع" والسّرد، وينشئ منهما زمنًا فكريًّا مطلقا مبتدؤه توجّهات الفلاسفة في التّصوّر والتّنظير، وخلاصتُه ما يؤمن به أبو حيّان ويفترضه ويصوغه بالنّظام المفاهيميّ ذي الإمكانات الدّلاليّة المتعدّدة وهي:

"النّظام اللّسانيّ، والوحدة الدّلاليّة، والتّصوّر المعجميّ، والمحتوى اللّسانيّ، والنّظام التّصوّريّ، والنّموذج المعرفيّ، والمحتوى الإدراكيّ ذو التّمثيل المعجميّ، والتّمثيل الدّلاليّ، والبنية الدّلاليّة، والبنية التّصوّريّة"(١١)

أصداءٌ في اللّفظ وتباينٌ في خصوصيات المعنى مِنْ منظورٍ فكريٍّ حين يعرض التّوحيديّ الحجج كأحداثٍ اجتماعيّة مخصّصة من قِبل أولئك المشاركين فيها في المتخيَّل السّرديِّ يتّخذ قناعَ الواقع في حركة المعنى والوضعِ الجدليّ بأكمله،(١٢) فتتفاعل البنيةُ مع المحتوى والحكاية وراويها من مستوى أوّل في هذه القصّة المضمّنة "شَبِيبُ بْنُ شَبَّةَ" يرتدّ في البعد الواقعيّ التّاريخيّ إلى القرن الثّاني الهجريّ، وفي المرجعيّة الاجتماعيّة إلى الفئات في مختلف أجزائها ومكوّناتها. والمطارحة قائمة على مجاليْن من المعرفة: نقليّ وعقليّ، مركزيّ أساسه التّوجيه من قِبَل الوزير وتحويليّ ينزاح به التّوحيديّ/ المفكّر إلى دوائر التّفكير وأصول المعرفة الإنسانيّة في ما هو كونيّ في القيمة والسّؤال، بما يناظر قول كلّ من بروك وستينتون من أنّ "علم المعرفة هو الحاجز الذي يركّز على الطّبيعة، والامتداد، وأصل المعرفة الإنسانيّة"، ويقوم عل ثلاثة أسئلة محوريّة هي:

"(١) ما المعرفة؟
(٢) ماذا يمكن أن نعرف؟
(٣) ما هي سبُل المعرفة؟"[١٣]

مسائلُ قد تبدو الأسماء معها مجرّد ألفاظ في السّياق النّصّيّ، ولكنّ طبيعة البناء تخرجها من الاعتباطيّة في الوضع إلى الانتقائيّة في العقل والاختيار، والمناسبة في الظّرف والتّجربة. إنّها المعرفة بالأساليب بما يجعل العبارة تحتمل المعنى والتّأويل في غير معجم وقصد، وخارج القواسم المشترَكة من الفهم،[١٤] إذْ لمْ تعد اللّغة بنية منغلقة على ذاتها بقدر ما هي جزء من حواريّة أساسها الجدل في المسامرة والبرهان في التّدوين والعقل، وتتقلّص سرديّة الخطاب أمام المنطق الحواريّ بما فيه مِن أدلّة وبراهين، ذلك أنّه:

"يتميّز بوجود لاعبيْن متحاوريْن الأوّل يقوم بوظيفة الادّعاء، والآخر ينهض بوظيفة الاعتراض، ثُمّ يتناوبان لاحقًا على الوظيفتيْن. يبدأ المدّعي الحوارَ بقضيّة فيتمّ الاعتراض عليْها بحسب استعمال الرّوابط المنطقيّة في القضيّة، والذي يختم الحوارَ هو الفائز بحيْث لا يمكن للخصم أنْ يتقدّمَ خطوة إلى الأمام. البُعدُ الجدليّ في المنطق الحواريّ هو الذي يميّزه عن أنواع المنطق الأخرى"[١٥]

حين تتعدّد أصوات الرّواية، يشي النّصّ بالانزياح عن اختيارات ذاتيّةٍ في البناء والمعنى والاندراج ضمن إثبات القيمة الكلّيّة من آثار الثّقافة تخفّف من حدّة "صراع" خفيّ، ومن هنا تبرز بلاغة اللّغة في بيان الخطاب، وتغريب الواقع في حدثيّة التّاريخ. مخاتلةٌ صانعها التّوحيديّ في الخطاب على الخطاب وأبعاد الدّلالة بما يُحوّل اللّغةَ الواصفة إلى ناقدة، أو هو النّسق الحسّيّ الحركيّ لآخر تصوّريّ في عمليّة دمج تكراريّ[١٣] يتجاوزه بالتّوليد الاستدلاليّ في النّصّ وحوله، ذلك أنّ التّوحيديّ اعتمد بنية التّضمين في الخبر والخطاب، فكانت المحاورة بيْنه وابن سعدان، وبيْن ابن المقفّع وأشراف القوم وأعيان المصر، دون إقصاء عامّة النّاس: "وَهُوَ مَوْقِفُ الأَشْرَافِ وَمُجْتَمَعُ النَّاسِ وَقَدْ حَضَرَ أَعْيَانُ الْمِصْرِ" في تفاعل اجتماعيّ واسع النّطاق يقدّم مثاله ابن المقفّع ويناظره التّوحيديّ في التّمثيل العقليّ، وكلاهما يعمد إلى الإقناع وإرساء التّحرّر من التّبعيّة في السّلوك المعنيّ من الواقع والقاعدة.[١٦]

المفكّر حين يجعل العقل آليّة تساعد على استعمال المعرفة مدخلا اجتماعيّا نفسيّا لتعديل السّياسة وفهم الأشياء وتمثّلها والتّعبير عنها، فكأنّ في ذلك امتدادًا لِمَا وُجِد في المدوَّنة السّرديّة القديمة حتّى عصر التّوحيديّ بما يشي بالتّواصل بمفهوم الأدب المعرفة والخطابة والشّعر والمنطق، والأخلاق،

والسّياسة، جزءٌ من بنية قصّة مضمّنة إذَا قيست بالأطروحة الأصل ففيها وجوه تشابه منها، وفيها ما يفرّقها عنها أيْضًا، وهو ما نبيّن في الجدول التّالي:

وجوه التّشابه	وجوه الاختلاف:	
	الأطروحة الأصليّة	الأطروحة الفرعيّة
– كلتاهما تدور حول المفاضلة بيْن الأمم. – كلتاهما تربط التّجريد بالإجراء والتّفكير بسياق التّلفّظ ومقامه. – كلتاهما جاءت في مجالِ مشافهةٍ يتطلّب منْ صاحب القول قدرة على المجادلة وإيجاد الحجج المناسبة التي تضمن التّأثيرَ المباشر على المخاطَب وإقناعه بالأطروحة تنشأ افتراضًا في الذّهن وتتجلّى في الواقع والممارسة.	* تدور على المفاضلة بيْن العرب والعجم في المطلق. * صاحبها رجل سياسة يلامس الأدب والفكر. * منهج صاحبها الإغراء واختبار قدرة الأديب على الإقناع دون الوقوع في مزالق الانزياح عن شروط منادمة رجل السّياسة ⇦ العلاقة فيها إيهام بالأفقيّة، ولكنّها عموديّة تقوم على التّقيّة والحرص على إرضاء السّلطان وتوجيه الخطاب وفق ما يريد سماعه من إجابة، وهي فرد في مواجهة فرد، وغايتها الأنا. = تتّخذ صيغة الاختبار، والحرص على البرهان.	-. تدور على المفاضلة بيْن الأمم منْ حيث منزلة العقل في ترجيح الأحكام وبيان المواقف. -. صاحبها رجل أدب وفكر يربطهما بالسّياسة. -. منهج صاحبها اختبار المخاطَب – مهما تكن ثقافته أو منزلته في الحياة والمجتمع – في موضوع الحديث وليْس في طبيعة العلاقة بيْن طرفي المخاطبة ⇦ العلاقة أفقيّة، وإنْ أرادتها الجماعة عموديّة لا خوفًا أو رهبة، بل إجلالاً لابن المقفّع وتقديرًا لمنزلته الأدبيّة الفكريّة، وهي فرد في مجادلة جامعة، وغايتها الآخر. = تتّخذ صيغة توجيه المناظرة نحو الجدل.

وإنّ لهذه المظاهر مبرّراتها في بناء النّصّ وإنشاء الخطاب منها تغييب العقل يُمثّل الثّغرةَ التي يراها ابن المقفّع في ثقافة الفُرْس بما قد يهدّد بالتّحجّر والجمودِ الفكريّ. ربّما للمقام والظَّرْف وطبيعة المخاطَب شروطٌ وإملاءات قد يوضّح بعضها ما يوهم به ابن المقفّع من أنّ العقلَ هو الأصل والمرجعُ في تسيير شؤون العباد والبلاد، لكن لا يمكن أنْ يكون ذلك بمعزل عن الأطُر الحافّة بالتّفكير والتّدبير: "إِنَّ الْعَرَبَ لَيْسَ لَهَا أَوَّلُ تَؤُمُّهُ وَلاَ كِتَابٌ يَدُلُّهَا، أَهْلُ بَلَدٍ قَفْرٍ وَوِحْشَةٍ مِنَ الإِنْسِ، احْتَاَجَ كُلُّ

وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي وَحْدَتِهِ إِلَى فِكْرِهِ وَنَظَرِهِ وَعَقْلِهِ (...)، فَلِذَلِكَ قُلْتُ لَكُمْ: إِنَّهُمْ أَعْقَلُ الأُمَمِ، لِصِحَّةِ الْفِطْرَةِ وَاعْتِدَالِ الْبِنْيَةِ وَصَوَابِ الْفِكْرِ وَذَكَاءِ الْفَهْمِ."

والواقع أنّ صيغة خطاب ابن المقفّع تحتمل المعنى وضدّه، فإذا ما بدَا مدحًا للعرب وانتصارًا هو في المُضمر قدحٌ وحطٌّ من الشّأن وذلك بقلْب الوجوه سابقةِ الذّكر نفسِها على النّحو التّالي: ١. ليْس للعرب حضارة تُذكر فالنّاس أهل بداوة وشظفِ عيْشٍ يعيشون جزءًا من طبيعة وفِطرةٍ غيْر مثقّفة؛ ٢. لمْ تُعرف لهم خصوصيّةٌ، فحتّى ما اعْتُبِرَ رمز "حضارتهم" بيْن شعر وخطابة إنْ هو إلاّ نقل ورواية وإعادة صياغة لمواثيق ومناويل منْ خرج عنها أو حادَ لمْ يُعتَرفْ له بفضل التميّز في الفصاحة والبلاغة وفحولة الشّعر؛ ٣. الاستئناس بالطّبيعة لمْ يكن اختيارًا بل اضطرارًا أشقاهم وأضناهم وجعلهم يعيشون هاجسَ الموت والتّناحر والحروب المستمرّة منْ أجل البقاء؛ ٤. جعلوا منْ أنفسهم جزءًا من الطّبيعة ارتدّت بهم إلى الحيوانيّة في الحياة والصّورة إلى درجة الاستئناس بالذّئب واتّخاذ النّاقة والفرس سنديْن ورمزيْ حياة في خضمّ الموت.

ظاهر السّيرورة الحجاجيّة نسبتها إلى ابن المقفّع وفيها "إطناب" في مدح العرب، ، لكن النّصّ وصلنا مدوّنًا، وللكتابة شروطها وخلفياتُها بما يجعل الخطابَ يحتمل المعنى ونقيضه برؤية "النّاقد" بالمعنى الذي يُحدّده محمّد القاضي ويورده:

"بمعنى عامّ هو تعامل المؤلّف مع الأخبار التي يرويها تعاملاً واعيًا جدليًّا يكشف عن شخصيّته ويُبيّن طَرَفًا من ثقافته"(١٧)

وهي القدرة على إمتاع المخاطَب بحيث يجد ما يرضيه كيفما قلّب الخطاب لفائدة الفرس أو العرب، وما أمر المعادلة إلاّ في التّفضيل المطلق آليّة من آليات الإقناع وتوجيه الخطاب تردفه العوامل الحجاجيّة، وكثرتها هي رغبة صاحب الأطروحة في بلوغ وحدة الخطاب وانسجامه في مختلف مراحل الحجاج.(١٨) والواقع أنّ الأطروحتيْن الرّئيسة مستهلّ حديث الوزير، والفرعيّة في بيان رأي ابن المقفّع هما اتّجاهان متعاكسان لأطروحة ضمنيّة لِمَا يُفكّر فيه التّوحيديّ، ولا يُفصح عنه في مرجعيّة الأقوال، ويُضمره في صيغ الكتابة التي تُخالف القصد وتُفسح المجال إلى تعدّد مسالك التّأويل لما بدَا من الاستلزامات في بلاغة الخطاب، حين يُنشئ التّوحيديّ نصّه وفي ذهنه تحقّقُه الإطاريّ ومخطّطُه الهيْكليّ، فيستحضر اللّغة بمختلف قرائنها النّسيريّة وأبنيتِها الأسلوبيّة والبلاغيّة، ينتقي منها ما يُناسبُ التّرابط كما يقول فان دايك:

"لا يحدث ذلك على مستوى الأبنية السّطحيّة فقط، بلْ على مستوى الأبنية الدّلاليّة أيْضًا"(١٩)

إنّ النقّل هو مجرّد واجهة لخطابٍ يُبنَى على الخطاب، أو هي ظلال المعنى تُستقى ممّا ترسّخ في الذّاكرة من موسوع المعرفة يساعد التّوحيديّ على انتقاء الحجّة وتوجيه الضّمانات، بما يحقّق التّناسبَ بيْن المقدّمات والنّتائج وخلاصتها: "فَلِذَلِكَ قُلْتُ لَكُمْ: إِنَّهُمْ أَعْقَلُ الأُمَمِ، لِصِحَّةِ الْفِطْرَةِ وَاعْتِدَالِ الْبِنْيَةِ وَصَوَابِ الْفِكْرِ وَذَكَاءِ الْفَهْمِ" صيغتْ بإثبات وتأكيد في تفضيل العرب على سائر الأمم، رغم توجيه ابن سعدان الخطابَ وتخصيصِه المعرفة عن الفُرْس دون سواهم. وقد جاءتْ الحججُ أدلّةً على أطروحة ضمنيّة قد يكون لمعناها الحرفيّ دلالة، ما يبرّر القولَ بأنّ هذا النّصّ هو خطاب على الخطاب يبنيه ويعيد صياغته بما يوسّع دائرته في اتّجاهات شتّى يمكن إظهارها كونها بالفعل موضوع محادثة يخصّ الشّخص "الوحيد" الذي قد ينطبق عليه المسند بشكل معقول.(٢٠)

القصّة المضمّنة هي تفسير الموقف عبْر المتخيَّل في التّاريخ وكليْهما في الأدب والحكاية ورواية "ما حدث بالفعل"، والقصّة الإطار هي "التّحقيق" في كيفيّة تعرّف المتلقّي إلى دلالاتها، أو كما يقول تودوروف:

"الفكرة الأولى توافق آثار الواقع، والأحداث المماثلة لتلك التي تحدث في حياتنا، والثّانية توافق الكتاب نفسه، والقصّة، ومختلف المسارات الأدبيّة التي يستخدمها الكاتبُ"(٢١)

يتمّ هذا بالبحث عن الغائب في الحاضر ومعرفة جدوى استعادته، وتفسيره من خلال متابعة السّرد والحجاج وتطوّرهما في بنية الخطاب وتوجّه العرض في ما يتعلّق بموجّهاته والعلامات الدّالّة عليْه منها تعليق أبي حيّان بقوله: "هَذَا آخِرُ الْحَدِيثِ"، يدخل هذا في إطار ما يطرحه كتاب "الإمتاع والمؤانسة" من إشكاليّة الجنس الأدبيّ الذي يمكن أنْ يندرج فيه، أو هو النّصّ جُمّاع الأنواع مختلفة انسجمت في خطاب الأدب والنّقد، والسّياسة والعقل بمفهومه الواسع،(٢٢) وفي استرسال المضامين والمقاصد بالقول وأثره في ابن سعدان عبر الرّواية حين يقول: "قَالَ: مَا أَحْسَنَ مَا قَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ! وَمَا أَحْسَنَ مَا قَصَصْتَهُ وَمَا أَتَيْتَ بِهِ! هَاتِ الآنَ مَا عِنْدَكَ مِنْ مَسْمُوعٍ وَمُسْتَنْبَطٍ"، بما يشي باستحسان غير مستفيض ينتظر منه السّامع درجة الإشباع في القول والرّأي، فيخرج النّصّ من إطار النّمذجة الموضوعيّة، وتأتي الكلمات متّسقةً مع أنساقها البنيويّة في التّركيب والعبارة، ولكنّها متناقِضة في إيقاع المعنى وأشكال للقول جديدة، ولا يتمّ ذلك حتّى تُفَكَّ شفرات اللّغة في الخطاب السّياسيّ.(٢٣) وفق مرجعيات الخطاب على الخطاب، وبالتّالي:

"فإنّ معرفة معنى جملة لا يعني بالضّرورة أنّنا نعرف إنْ كان صحيحًا أمْ لا في حالة معيَّنَة، لكنّها تعني أيْضًا أنّنا نعرف أنواع المواقف التي تكون فيها الجملة صحيحة"(٢٤)

الصّحّة ليْس بمعيار الصّواب والخطأ في البنية والتّركيب، بل حسب وضْع أطراف الخطاب ومختلَف القيود والشّروط التي تؤيّده والتّصوّرات الذّهنيّة لكلّ فرد في التّلقّي الآنيّ والزّمانيّ لسرد "التّاريخ" بتشكيل رمزيّ، يُنظر إليْه كمسألة واقعيّة في لحظة معيّنة بمفهوم عمليّ نفعيّ يعتمد فيه بشكل كبير على سياق النّصّ[٢٥] وتفكير النّقد، وهو تفسير وظيفيّ ينطلق فيه أبو حيّان من حقائق الواقع والتّاريخ تؤسّس افتراضاتٍ لا تثبت حتّى توافق نتائجها الخواتيم وهي ثلاثة: ١. ما أنهى به ابن المقفّع جدله؛ ٢. ما استنبطه ابن سعدان من رغبته إثباتَ المنقول بالمعقول؛ ٣. المخاتلة التي بها أنهى التّوحيديّ القول والقصد حين أوهم بالنّقل الذي لم يكن إلاّ عقلا وحجّة موسّعةً لمناقشة معيّنة جاء فيها الاستنتاج الختاميُّ منسجما مع تسلسل الجدل، ومع النّقد والقصد[٢٦] استنادًا إلى المنهج المعياريّ في تقديم الأدلّة في اللّفظ والمعنى، وإلى موازاته بالمنهج البرهانيّ في تقييم الافتراض الضّمنيّ وهو أطروحته التي تُمثّل الجواب الأصليّ عن المسألة، في انسجامٍ تامّ بيْن المقدّمات والاستدلال والاستنتاج.

ينتهي النّصّ بِخلاصة: "فَقُلْتُ: إِنْ كَانَ مَا قَالَ هَذَا الرَّجُلُ الْبَارِعُ فِي أَدَبِهِ الْمُقَدَّمُ بِعَقْلِهِ كَافِيًا فَالزِّيَادَةُ عَلَيْهِ فَضْلٌ مُسْتَغْنًى عَنْهُ، وَإِعْقَابُهُ بِمَا هُوَ مِثْلُهُ لاَ فَائِدَةَ فِيهِ"، بيْن وهْم الواقع وحقيقة إنشائه وأبعاده في السّياسة والحياة في إطار نمط من التّلميح تصطلح كاترين كيربرات – أوريكيوني على تسميته بِـ "الإحالة التّناصيّة"، فتقول:

"وتربط صلةٌ ليْست بوثيقة هذا التّلميح بإشكاليّة المضمَر، ولكنّها صلة على الرّغم منْ كلّ شيْء، لأنّ النّصّ الذي يُنوِّه به التّلميحُ التّناصّيّ ويأتي على ذكره، يكون، شأنه في ذلك شأن المضمَّن، حاضرًا وغائبًا في آن بالنّسبة إلى مَنْ يتلقّاه"[٢٧]

ويتأصّل النّصّ في التّاريخ المرجع واللّفظ، ولكنّ كليْهما يتهاوى أمام المعنى الخفيّ منْ تورية الذّات خلف الموضوع، تورية تتّخذ بُعديْن: أوّلهما جماليّ وجزء منْ بلاغة الخطاب، وثانيهما مفهوميّ يتحوّل معه المحورُ إلى هامش والهامشُ إلى محورٍ، إذْ كان منحى التّوحيديّ في نقل الخبر كما يقول محمّد القاضي:

"تغليب الجانب المتخيَّل على الجانب المرجعيّ بأنْ نزّل الشّخصيات والأحداث في إطار زمانيّ ومكانيّ قوامه المشاكلة (Likelihood/ La vraisemblance)"،[٢٨]

والمشاكلة في السّرد هي جزءٌ من التّناظر بيْن الحقيقة والإشارة إليْها، والضّمانات الكفيلة بتحقيق الوصل بيْنهما مقدّمة في الأدب واستنتاج في فلسفة الأدب ولغة المنطق والحجاج من خلال الأدلّة المتاحة التي من الضّروريّ الاعتماد عليْها للتّأكّد ممّا يعنيه المتحدّثُ في الحقائق السّياقيّة لا يجعلها فقط ذات دور معرفيّ بل دلاليّ في السّيرة والحياة، وهو ما يجعلنا نبيّن مظاهرها في الجدول التّالي:

الأصداء في الصّورة والمعنى وعلاقة رجل الفكر برجل السّياسة	المشاكلة في مقامات القول والتّلفّظ
– بيْدبا الفيْلسوف الهنديّ في علاقته بالملك دبشليم ≈ ابن المقفّع في علاقته بالمنصور الخليفة العبّاسيّ الثّاني ≈ التّوحيديّ في علاقته بابن سعدان الوزير البويْهيّ = كلّهم يعتمدون صوت الحكمة في توجيه مسار السّياسة بالجمع بيْن قناع "الإمتاع والمؤانسة" وخلفيّة النّقد واللّذع.	* المجلس الذي جمع التّوحيديّ بابن سعدان ونظيره في موقف الجماعة بابن المقفّع ومعه في المقاميْن خُلفٌ وتباعدٌ في الآراء والمواقف، ولكنّ صيغة الخطاب كانت مع التّوحيديّ تقوم على إيهام تغييب الذّات وانسياقها وراء إرادة رجل السّياسة، ومع ابن المقفّع، أُنشِئتْ على حقيقة حضور الأنا تبئيرًا للذّات في خطاب أدبها ينشر أدب الآخر.
– تتقاطع أصوات الثّلاثة في المزج بيْن الحكمة والعقل وجعلهما آليّة تعديل موازين ما اختلّ في شؤون الحُكم، أو ما يُنذر بالاختلال.	* ظاهر النّصّ خطاب ابن المقفّع باعتباره المرجع في الأدب والتّاريخ، والسّياسة والواقع، ولكنّ المنهجَ الذي عليْه بنى التّوحيديّ نصّه يكشف تدريجًا أنّ أبا حيّان هو الأصل وما ابن المقفّع إلاّ الصّدى.
– المسألة منطلق الاستجابة لطلب تختزل خلفيّة العِرْق والثّقافة والدّين، بل منزلة كلّ منها في نظرة شعوبيّة معاييرها المفاضلة في ما به كانتْ ويستمرّ وجودها أوْ ذكرها.	* إنشاء الخطاب على الخطاب في هذا النّصّ تجلّى في أنّ القصّة المضمّنةَ هي إجراء للقصّة الإطار في تعميمها وإطلاقها؛ ومنهج المناظرة يشي بأنّ المشاكلة كانت في مستويات عديدة: ١. الطّرفان المتحاوران؛ ٢. ثنائيّة الرّغبة والرّهبة في ثنائيّة الطّلب والاستجابة؛ ٣. السّياق لغويّ حجاجيّ جدليّ، والمقام حضاريّ ذو خلفيّة سياسيّة، والمرجع واقعيّ في مطلق الزّمان والمكان.
– المنهج الذي اختاره التّوحيديّ في العَرض والنّقد يشي بثنائيّة النّقل والعقل والانطباع فالانفعال، والتّفكير والتّدبير، ثمّ ما به تفسد السّياسة أو تصلح.	* ظاهر القول موضوعيّة وحياد واستدلال عليْهما بالنّقل والمرجع بما كان ونُظِر حتّى لا شكَّ، ولكنّ مقام التّلفّظ يجعل خطابيْ الرّواية والتّدوين متشابهيْن قائميْن على الاستعارة فيحضر المستعار منه ابن المقفّع، ويحاط التّوحيديّ باعتباره المستعار له بهالة من الضّباب تكتنفه حتّى لا ذاتَ، أو يكون منتهى النّصّ فتفيض الذّاتُ على الموضوع ويسقط القناع.

القصّة الإطار والقصّة المُضَمَّنة هما مرآتا تضمين الذّات في الموضوع، لكن يظهر الانحرافُ في ثنائيّة التّجريد والتّمثيل معها يتّخذ الاعتقادُ الذّاتيّ صبغةَ الخطابِ الفنّيّ والبيانِ البلاغيّ في الموضوع وبناء تأليفيّ لمستويات متنوّعة مختلفة في النّصّ وأجناسيّة الخطاب[٢٩] مُزِجَ فيه بيْن الأدب في لغة

الخطاب وفنّيّة النّثر، وبيْن الواقع في مرجعيات الخبر: السّياسة والمجتمع والأخلاق، وبيْن الفلسفة في منهج العَرْض ومنطق الحجاج والجدل وجعْل العقل صنو النّقل ورديفَه إثباتًا ونفيًا، أو أطروحةً وأطروحةً نقيضًا وفق ثنائيّة الصّريح والضّمنيّ.

الخاتمة:

هذا النّصّ هو سرد مفهوم السّلطة يعقله ويحدّه منطق الفكر والتّفكير في بناء النّصّ وانسجامه في تاريخ الأدب أو النّسج على منوال يُميّز الخطابَ في المرجع وحجّة القول والاستدلالِ فيه على المعنى، ولكنّه التّاريخُ المُساوقُ للواقع والقناعُ السّرديّ يشي بالوجه في النّقد وإبداء الرّأي باستعمال الكلام وإتقان صناعته حين يقترن النّثرُ الفنّيّ بالخطاب الفلسفيّ.

يعتمد التّوحيديّ سُنّة الرّواية والمشافهة، فكأنّهما سلطة في بناء النّصّ ومرجع الخطاب تضفي الموضوعيّة في نقل الخبر، ولكنّ القيمة تتجاوز ظاهر اللّفظ والتّلقّي حين تطفو الذّات على السّطح، فلا يكون الموضوع منها إلاّ نقطة البدء في المعنى والدّلالة. وإنّ لجماليّة الخطاب دورًا رئيسًا في جعل البلاغة قرينة التّحوّل من نصٍّ أوّلٍ هو الإطار إلى نصّ ثانٍ لا يستقيم في شبكة نسيجه وامتداداتها إلاّ وهي متّصلةٌ بنقطة البدء؛ والتّفكير في الاستغناء عنها هو غياب للجوهر والعرَض كليْهما.

هذا النّصّ، وكتاب "الإمتاع والمؤانسة" ككلّ، يطرح إشكاليّة الجنس الأدبيّ بيْن أنْ يكون أو يتعالى على الخصوصيّة إلاّ بوصفها فرادةً مرجعُها نسجٌ على منوالٍ فتناظرٌ في السّرد والبناء يحاكي من خلاله النّصُّ النّصَّ، ولكنّ ذلك لا يتجاوز مستوى الصّدى من الأصلِ، إذْ تنشأ المفارقة وتنقلب مواثيقٌ الطّراز عندما ينشأ خطاب العقل في المضمَر من القول والمعنى.

الهوامش:

(١) أبو حيّان التّوحيديّ (... –نحو ٤٠٠ هـ = ... –نحو ١٠١٠ م)

عليّ بن محمّد بن العبّاس التّوحيديّ، أبو حيّان: فيلسوف، متصوّف معتزليّ، نَعَتَه ياقوت بشيْخ الصّوفيّة وفيْلسوف الأدباء. وقال ابن الجوزيّ: كان زنديقًا. وُلِد في شيراز (أو نيسابور) وأقام مُدّةً ببغداد. وانتقل إلى الرّيّ، فصحب ابن العميد والصّاحب بن عبّاد، فلم يَحْمِد ولاءهما. ووُشِيَ به إلى الوزير المهلّبيّ فطلَبَه، فاستتر منه، ومات في استتاره، عن نَيْفٍ وثمانين عامًا. قال ابن الجوزيّ: زنادقة الإسلام ثلاثةٌ: ابن الرّاونديّ، والتّوحيديّ، والمعرّيّ، وشرّهم التّوحيديّ لأنّهما صَرَّحَا ولمْ يُصرِّحْ. وفي بُغية الوُعاة أنّه لمّا انقلبت به الأيّام رأى أنّ كُتُبَه لمْ تنفعْه وضنّ بها على مَنْ لا يعرفُ قدْرَها، فجمعها وأحرقها، فلمْ يسلمْ منها غيْر ما نُقِل قبْل الإحراق. مِنْ كُتُبه: "المقابسات" و"الصّداقة والصّديق" و"البصائر والذّخائر"، وهو خمسة أجزاء، و"الإمتاع والمؤانسة" ثلاثة أجزاء، و"الإشارات الإلهيّة" موجَزٌ منه، و"المحاظرات والمناظرات"، و"تقريظ الجاحظ" و"مثالب الوزيريْن ابن العميد وابن عبّاد". ولعبد الرّزق محيي الدّين "أبو حيّان التّوحيديّ" في سيرته وفلسفته، ومِثْلُه للدّكتور محمّد إبراهيم، وللدّكتور حسّان عبّاس.

خيْر الدّين **الزّركليّ** (١٩٨٦) *الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرّجال والنّساء من العرب والمُستعربين والمستشرقين*، بيْروت – لبنان، دار العلم للملايين، ط. ٧، ص: IV/ ٣٢٦.

(٢) يقصد الكاتبُ ابنَ سعدانَ؛ ويُذْكَر في تقديم النّسخة المُعْتَمَدَةِ ما يلي: "رجّح محققّا النّشرةِ الأولى مِنَ الكتابِ الأستاذان أحمد أمين وأحمد الزّين أنْ يكونَ أبَا عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان، وكان وزيرًا لصمصام الدّولة بن عضد الدّولة من ٣٧٢ إلى ٣٧٥ هـ = ٩٨٣ – ٩٨٥ م؛ والعارضُ لقبٌ له".

أبو حيّان **التّوحيديّ** (٢٠٠٩) *الإمتاع والمؤانسة*، بيْروت، دار الجيل، ط. ١، ص ١١ [الهامش ٩].

(٣) ابن المقفّع (١٠٦ – ١٤٢هـ = ٧٢٤– ٧٥٩ م) عبد الله بن المقفّع: من أئمّة الكُتّاب، وأوّلُ مَنْ عُنِيَ في الإسلام بترجمة كتب المنطق. أصله من الفُرس. وُلِدَ في العراق مجوسيًّا (مزدكيًّا)، وأسلم على يد عيسى بن عليّ (عمّ السّفّاح)، ووُليّ كتابة الدّيوان للمنصور العبّاسيّ. وتَرجم له "كتب أرسطوطاليس" الثّلاثة، في المنطق، وكتاب "المدخل إلى علم المنطق" المعروف بايساغوجي. وترجم عن الفارسيّة كتاب "كليلة ودمنة" وهو أشهر كُتُبِه. وأنشأ رسائلَ غايةً في الإبداع، منها "الأدب الصّغير" و"الأدب الكبير" و"رسالة الصّحابة" و"اليتيمة" واتُّهِم بالزّندقة، فقتله في البصرة أميرُها سفيانُ بن معاوية المهلّبيّ. قال الخليلُ بن أحمد: "ما رأيْتُ مِثْلَه، وعِلمه أكثر من عقله." وللأستاذ محمّد سليم الجنديّ "عبد الله بن المقفّع" ومِثْلُه لعمر فرّوخ. ولعبد اللّطيف حمزة "ابن المقفّع"، ومثْلُه لخليل مردم بك.

خيْر الدّين **الزّركليّ**. المرجع السّابق، ص: IV/ ١٤٠.

(٤) شبيب بن شبّة: أبو مَعْمَرٍ بن عبد الله التّميميّ، أديب الملوك وجليس الفقراء (ت. نحو ١٧٠ هـ= ٧٨٧ م)

أبو حيّان **التّوحيديّ**، المصدر السّابق، ص: ٥٥.

(٥) نفس المصدر، ص ص: ٥٥ – ٥٦.

(٦) صالح **بن رمضان**. الإمتاع والمؤانسة وطروس الكتابة، ضمن: *حوليات الجامعة التّونسيّة*: ٤٥/ ٢٠٠١، ص ص: ٢٣٢ – ٢٣٥.

(٧) صالح **بن رمضان**. الأدب عند التّوحيديّ بيْن أمر الكاتب وتحرّر الثّائر، ضمن: *حوليات الجامعة التّونسيّة*: ٤٥/ ٢٠٠٥، ص ص: ٧٥– ٧٦.

(٨) Dijk, Teun A. van (2001) Multidisciplinary CDA : a plea for diversity, In : *Methods of Critical Discourse Analysis*, London, SAGE Publications LTD, pp. 107– 108.

(٩) عصام **بهيّ**. الكلام على الكلام: قراءة في فكر أبي حيّان الأدبيّ، ضمن: مجلّة *فصول*: ١٤/ ٣، ١٩٩٥، ص: ١٨٩.

(١٠) Evans, Vyvyan (2013) *Language and Time A Cognitive Linguitics Approche*, U. S. A., Cambridge University Press, p. 152.

(٩) Ibid, 28.

(١١) Bex, Floris & **Bench – Capon,** Trevor (2017) Arguing with Stories, In : *Narration as Argument*, Switzerland, Springer International Publishing AG, p. 28.

(١٢) Brook, Andrew & **Stainton**, Robert J. (2000) *Knowledge and Mind A Philosophical Introduction*, MIT Press paperback edition, pp. 1 - 5.

(١٣) Ibid, p. 48.

(١٤) طارق **المالكي** (٢٠١٩) *الاستدلال في المنطق وتطبيقاته في اللّسانيات*، عمّان – الأردن، دار كنوز المعرفة للنّشر والتّوزيع، ط. ١، ص: ١٦٥.

(١٥) نفسه، ص: ٢٣١.

(١٦) Boyer, Pascal (2018) *Minds Make Scocieties How Cognition Explains the World Humans Create*, New Haven and London, Yale University Press, p. 219.

(١٧) محمّد **القاضي** (١٩٩٨) *الخبر في الأدب العربيّ دراسة في السّرديّة العربيّة*، تونس، منشورات كلّيّة الآداب منّوبة، ط. ١، ص: ١٩٣.

(18) Charolles, Michel (1995) Cohésion, cohérence et pertinence du discours, in : *Travaux de linguistique* : 29, p. 125 – 151.

(١٩) تون أ. **فـان دايـك** (٢٠٠١) *علـم النّصّ مـدخل متـداخل الاختصاصـات*، ترجمـة: سـعيد حسـن بحيـري، القـاهرة – مصر، دار القاهرة للكتاب، ط. ١، ص ص: ٢٩٦ – ٢٩٧.

(20) Bach, Kent (2017) Reference, intention, and context : Do demonstratives realy refer ?, In : *Reference and Representation in Thought and Language*, U. K., Oxford University Press, 1rst pub., pp. 61.

(21) Todorov, Tzvetan (1978) *Poétique de la prose Choix, suivi de Nouvelles recherches sur le récit*, Editions du Seuil, p. 13.

(٢٢) ضياء **الكعبيّ** (٢٠٠٥) *السّرد العربي القديم الأنساق الثّقافيّة وإشكاليات التّأويل*، بيْروت – لبنان، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، ط. ١، ص ص: ٣٧٤ – ٤٠١.

(23) Barthes, Roland (1973) *Le plaisir du texte*, Editions du Seuil, p. 16.

(24) Kroeger, Paul R. (2018) *Analysing meaning An introduction to semantics and pragmatics*, Berlin – Germany, Language Science Press, p. 35.

(25) Ibid, p. 45.

(26) Hitchcock, David (2017) *On Reasoning and Argument Essays in Informal Logic and on Critical Thinking*, Springer, p. 44.

(٢٧) كاترين **كيربرات – أوريكيوني (٢٠١٨)** *المضمر*، ترجمة: ريتا خاطر، بيْروت – لبنان، ط. ١، ص: ٨٧.

(٢٨) محمّد **القاضي** (٢٠٠٨) *الرّواية والتّاريخ دراسات في تخييل المرجعيّ*، تونس، دار المعرفة للنّشر، ط. ١، ص: ٢٥.

(29) Taylor, Kenneth A. (2017) Selfhood as self – representation, In : *Reference and Representation in Thought and Language*, U. K., Oxford University Press, 1rst pub., p. 245.

المصدر والمراجع

التّوحيديّ، أبو حيّان (٢٠٠٩) *الإمتاع والمؤانسة*، بيْروت، دار الجيل، ط. ١.

١ – باللّسان العربيّ:

بـن رمضـان، صـالح. الإمتـاع والمؤانسـة وطـروس الكتابـة، ضـمن: *حوليـات الجامعـة التّونسـيّة*: ٤٥/ ٢٠٠١، ص ص: ٢٣١ – ٢٤٥.

بـن رمضـان، صـالح. الأدب عنـد التّوحيـديّ بـيْن أمْـر الكاتـب وتحـرّر النّـاثر، ضـمن: *حوليـات الجامعـة التّونسـيّة*: ٤٥/ ٢٠٠٥، ص ص: ٧٥– ٧٦.

بهـيّ، عصـام (١٩٩٥) الكـلام علـى الكـلام: قراءة فـي فكر أبـي حيّـان الأدبـيّ، ضـمن: مجلّـة *فصـول*: ١٤/ ٣، ص ص: ١٨٣ – ٢٠٢.

الزّركلـيّ، خيْر الدّين (١٩٨٦) *الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرّجال والنّساء من العرب والمُستعربين والمستشرقين*، بيْروت – لبنان، دار العلم للملايين، ط. ٧. (٦ مجلّدات)

فان دايك، تون أ. (٢٠٠١) *علم النّصّ مدخل متداخل الاختصاصات*، ترجمة: سعيد حسن بحيري، القاهرة – مصر، دار القاهرة للكتاب، ط. ١.

القاضي، محمّد (١٩٩٨) *الخبر في الأدب العربيّ دراسة في السّرديّة العربيّة*، تونس، منشورات كلّيّة الآداب منّوبة، ط. ١.

القاضي، محمّد (٢٠٠٨) *الرّواية والتّاريخ دراسات في تخييل المرجعيّ*، تونس، دار المعرفة للنّشر، ط.١.

الكعبيّ، ضياء (٢٠٠٥) *السّرد العربي القديم الأنساق الثّقافيّة وإشكاليات التّأويل*، بيْروت – لبنان، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، ط. ١.

كيربرات – أوريكيوني، كاترين (٢٠١٨) *المضمر*، ترجمة: ريتا خاطر، بيْروت – لبنان، ط. ١.

المالكي، طارق (٢٠١٩) *الاستدلال في المنطق وتطبيقاته في اللّسانيات*، عمّان – الأردن، دار كنوز المعرفة للنّشر والتّوزيع، ط. ١.

٢ – بغير اللّسان العربيّ:

Bach, Kent (2017) Reference, intention, and context : Do demonstratives realy refer ?, In : *Reference and Representation in Thought and Language*, U. K., Oxford University Press, 1rst pub., pp. 57 – 72.

Barthes, Roland (1973) *Le plaisir du texte*, Editions du Seuil.

Bex, Floris & **Bench – Capon,** Trevor (2017) Arguing with Stories, In : *Narration as Argument*, Switzerland, Springer International Publishing AG, pp. 31 – 45.

Boyer, Pascal (2018) *Minds Make Scocieties How Cognition Explains the World Humans Create*, New Haven and London, Yale University Press.

Brook, Andrew & **Stainton**, Robert J. (2000) *Knowledge and Mind A Philosophical Introduction*, MIT Press paperback edition.

Charolles, Michel (1995) Cohésion, cohérence et pertinence du discours, in : *Travaux de linguistique* : 29, pp. 125 – 151.

Dijk, Teun A. van (2001) Multidisciplinary CDA : a plea for diversity, In : *Methods of Critical Discourse Analysis*, London, SAGE Publications LTD, pp. 95 – 120.

Evans, Vyvyan (2013) *Language and Time A Cognitive Linguitics Approche*, U. S. A., Cambridge University Press.

Hitchcock, David (2017) *On Reasoning and Argument Essays in Informal Logic and on Critical Thinking*, Springer.

Kroeger, Paul R. (2018) *Analysing meaning An introduction to semantics and pragmatics*, Berlin – Germany, Language Science Press.

Taylor, Kenneth A. (2017) Selfhood as self – representation, In : *Reference and Representation in Thought and Language*, U. K., Oxford University Press, 1rst pub., pp. 224 – 271.

Todorov, Tzvetan (1978) *Poétique de la prose Choix, suivi de Nouvelles recherches sur le récit*, Editions du Seuil.